(٢)

أعنّي على نفسك بكثرة السجود

عن ربيعة بن كعب الأسلمي -رضي الله عنه- قال: كنت أبيت مع رسول الله ـ ﷺ ـ فآتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: (سلني، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك، قلت: هو ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم.[1]

في قصة هذا الصحابي الجليل درس عظيم في علو الهمة، وطلب الجنة، وفي رواية الطبراني جاءت قصته مطولة، فقال -رضي الله عنه-: (كنت أخدم النبي ـ ﷺ ـ، نهاري، فإذا كان الليل آويت إلى باب رسول الله ـ ﷺ ـ فَبتُّ عنده، فلا أزال أسمعه يقول: (سبحان الله، سبحان

(١) رواه مسلم: (٤٨٩).

الله، سبحان ربي، حتى أمل، أو تغلبني عيني فأنام، فقال يوماً: يا ربيعة سلني فأعطيك، فقلت: يا رسول الله أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار، ويدخلني الجنة، فسكت رسول الله ثم قال: من أمرك بهذا؟ قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه، فأحببت أن تدعو الله لي، قال: إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه الإمام أحمد [١] .

وفي هذا الحديث عدد من فوائد :

١- خدمة ربيعة لرسول الله ـ ﷺ ـ :

وكان أصحابه ـ ﷺ ـ يتشرفون بخدمته، والقيام على حوائجه، وممن كان يقوم على خدمته ـ ﷺ ـ أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر الجهني، وأسلم بن شريك، وبلال بن رباح، وسعد مولى أبي بكر الصديق ، وأبو ذر الغفاري، وأيمن بن عبيد وأمه

(١) أخرجه أحمد في مسنده ـ حديث : ٤٢٣٩.

أم أيمن مولاة الرسول ـ ﷺ ـ رضي الله عنها ـ[١].

٢- اجتهاد النبي ﷺ في عبادته لربه وتقربه إليه:

وهذا كان دأبه ـ ﷺ ـ وحرصه في التزود من الخير. وفي الصحيحين عن المغيرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ ﷺ ـ يتقدم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً)[٢].

٣- مكافأته ﷺ لمن يحسن إليه ويقوم بخدمته:

ومن ذلك أيضاً، دعاؤه ـ ﷺ ـ لعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: إن النبي ـ ﷺ ـ أتى الخلاء فوضعت له وضوءاً، فلما خرج قال: من وضع هذا؟ قلت: ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: (اللهم فقهه في الدين) رواه البخاري ومسلم[٣].

(١) زاد المعاد: (١/ ١١٣).
(٢) أخرجه البخاري: (١١٣٠)، ومسلم: (٢٨١٩).
(٣) أخرجه البخاري: (١٤٣)، ومسلم: (٢٤٧٧).

قال النووي: (وفيه استحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيراً مع الإنسان) (شرح مسلم: ١٦/ ٣٦) .

ودعاؤه لأنس بن مالك، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قالت أمي يا رسول الله ، خويدمك، ادع الله له، قال : فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه) (١) .

وقد استجاب الله دعاء نبيه في هذين الرجلين ـ رضي الله عنهما ـ فابن عباس كان من الفقه بالمحل الأعلى، وأما أنس فيقول عن نفسه كما في مسلم: (فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي على نحو المائة، اليوم).

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ (نيل الأوطار ٢: ٩٨/):

(فيه جواز قول الرجل لأتباعه ومن يتولى خدمته

(١) رواه البخاري : (٣٨٠) ، ومسلم : (٦٦٠)

سلوني حوائجكم) أ.هـ.

٤-إيثار الصحابي الجليل ربيعة الأسلمي-رضي الله عنه- الآخرة على هذه الدنيا الفانية، وتشوقه للجنة، وخوفه من النار، فكان ذلك الطلب نتيجة لهمة عالية، وقلب متشبع بطاعة ربه، وذكر مولاه تبارك وتعالى، فكان توفيق المولى -عز وجل- له باستغلال هذه الفرصة واستهبالها، ووعده النبي- ﷺ- بأن يدعو له أن يكون رفيقه في الجنة.

٥- كثرة السجود سبب من أسباب مرافقة النبي- ﷺ- :

وطريق لأن يكون المؤمن جارًا لرسول الله- ﷺ- في الجنة.

٦- قال الشوكاني-رحمه الله-في (النيل :٢/٩٨) :

(وفيه دليل على أن من الناس من يكون مع الأنبياء في الجنة).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم : ١٦٢/٤) :

(فيه الحث على كثرة السجود والترغيب فيه ، والمراد به السجود في الصلاة) اهـ.

٧- وفي (نفس المصدر) :

(ولأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها، وهو وجهه من التراب الذي يداس ، ويمتهن والله أعلم) ا.هـ.

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ (٩٨/٢) :

(وفيه أن السجود من أعظم القرب، التي يكون بسببها ارتفاع الدرجات عند الله إلى حد لا يناله إلا المقربون ، وبه أيضاً استدل من قال : أن السجود أفضل من القيام) ا.هـ.

وقال (نفس المصدر السابق): (وفيه أيضاً جواز سؤال الرتب الرفيعة التي تكبر عن السائل) اهـ.

فضل السجود والحث عليه :

١- عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان ـ رضي الله عنه ـ مولى رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سألت فسكت، ثم سألته الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة) قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته، فقال لي مثل ما قال لي ثوبان) رواه مسلم[1].

قال العلامة الشوكاني (النيل ٢/٩٧):

(وهو يدل على أن كثرة السجود مرغب فيه، والمراد به السجود في الصلاة).

٢- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ

(١) أخرجه مسلم: (٤٨٨).

قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد،فأكثروا الدعاء) رواه مسلم [١] .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم: ١٥٩/٤): (معناه اقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله، وفيه الحث على الدعاء في السجود).

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ (النيل ٩٧/٢):

(أي أقرب حالاته من الرحمةحال كونه ساجداً وإنما كان في السجود أقرب من سائر أحوال الصلاة وغيرها، لأن العبد بقدر ما يبعد عن نفسه يقرب من ربه، والسجود غاية التواضع، وترك التكبر، وكسر النفس لأنها لاتأمر الرجل بالمذلة، ولا ترضى بها، ولا بالتواضع بل بخلاف ذلك، فإذا سجد فقد خالف نفسه، وبعد عنها، فإذا بعد عنها قرب من ربه) ،

(١) أخرجه مسلم: (٤٨٢).

وقال: (والحديث يدل على مشروعية الاستكثار من السجود، ومن الدعاء فيه) ا.هـ.

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً

منا إليك فعزها في ذُلها

٣- عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول: **(ما من عبد يسجد لله سجدة، إلا كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود)** رواه ابن ماجة[١].

٤- عن أبي فاطمة -رضي الله عنه- قال: **(قلت: يا رسول الله: أخبرني بعمل أستقيم عليه وأعمله، قال: عليك بالسجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة)** رواه ابن ماجة[٢].

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم: (١٤٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: (٣٨٢)

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم: (١٤٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: (٣٨٥)

وعند أحمد قال: قال لي نبي الله ﷺ (يا أبا فاطمة إن أردت أن تلقاني فأكثر السجود) [١] .

٥-عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **(من سجد لله سجدة كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة)** رواه أحمد [٢] .

السجود في القرآن الكريم:

جاء في القرآن الكريم ذكر السجود ، وبيان فضله بأساليب مختلفة ، وطرق متنوعة فمرة يأمر تعالى به ويحث عليه، وأخرى يثني على الساجدين القانتين، وتارة يذم المتكبرين عن السجود له ، والانطراح بين يديه، وتارة يخبر عن سجود الكائنات له، وعدم

(١) رواه أحمد في مسنده برقم :(١٥٢٢٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: (٣٨٥)

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم :(٢٠٧٦٤) ،وصححه الألباني في صحيح الترغيب: (٣٨٨)

استكبارها عن ذلك وهكذا.

أمره تعالى بالسجود:

قال تعالى: آمراً نبيه ـ ﷺ ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ (الإنسان:٢٦).

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴿١٩﴾﴾ (العلق:١٩)، وقال تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (آل عمران:٤٣).

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴿٦٢﴾﴾ (النجم: ٦٢)، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (فصلت:٣٧).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ

وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الحج:٧٧).

وقال تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الحجر:٩٨).

ثناؤه تبارك وتعالى للساجدين:

قال تعالى في ذكر وصف أصحاب محمد ـ ﷺ ـ الذين معه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح:٢٩).

وقال تعالى في ذكر صفات المؤمنين الفائزين: ﴿التَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (التوبة:١١٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾(الإسراء:١٠٧ - ١٠٩).

وفي وصفهم يقول تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾(مريم: من الآية٥٨)

وفي صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ (الفرقان:٦٤).

وفي ذكر المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾(السجدة:١٥).

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

(الزمر:٩).

ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض:

لما تكبر المجرمون عن السجود لله، والتواضع له، ذكرهم الله ـ عز وجل ـ بغناه عنهم وبيَّن لهم أنَّ مَنْ في السموات، ومَنْ في الأرض يسجدون له، ويسبحون بحمده، وذلك في عدد من الآيات ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ (الرعد:١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (النحل: ٤٩).

وفي سورة الحج: ١٨ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحج: ١٨).

وفي سورة الرحمن: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ (الرحمن: ٦).

وقال تعالى عن ملائكته الكرام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٠٦).

ذمه - عز وجل - لمن تكبر عن السجود له:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٠).

وقال - عز وجل - مخبراً عن داعية التوحيد الهدهد: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النمل ٢٣-٢٦).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ (الانشقاق: ٢١).